

روابط المجتمع المسلم وأخلاقه



«أقام الإسلام العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم على روابط متينة، ومبادئ خالدة وأخلاق سامية، تجعل من هذا المجتمع وحدة قوية متماسكة، وأهم هذه الروابط والأخلاق: الأخوة، والمساواة، والحب في الله، والتعاون والتكافل، والتناصح، والإيثار.

وقد صاغت هذه الروابط والأخلاق السامية المجتمع المسلم صياغة عجز المصلحون أن يأتوا بمثلها أو قريب منها على مدار الزمان.

1- الأخوة:

والأخوة رابطة نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام مع كل من تربطه وإياه أوامر العقيدة الإسلامية. قال الله تعالى: (إِنَّ زَمَّامَ الْوُجُوهِ مِنْكُمْ إِخْوَةٌ) (الحجرات/ 10).

يقول القرطبي: "أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب".

ولقد كان أول ما فعله النبي (ص) في المدينة بعد بناء المسجد أن آخى بين المهاجرين والأنصار فقال لهم: "تآخوا في الله أخوين أخوين" وذلك ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، وليشد أزر بعضهم ببعض - ففويت بذلك عصبية المسلمين، وها بهم القريب والبعيد، وشعر المهاجرون بالهدوء والسعادة، وأحبوا المدينة وأهلها، وصاروا جميعاً في إخاء وصفاء. وتفانى الأنصار في حب إخوانهم المهاجرين وإكرامهم.

كما أكد النبي (ص) على أخوة المسلمين بعضهم فقال في حديثه الشريف:

"المسلم أخو المسلم...". وكان النبي (ص) يقرر هذا الإخاء ويؤكد كل يوم أبلغ تأكيد وأوثقه، وقد طبق الإسلام هذا الإخاء الرفيع، وأقام على أساسه مجتمعاً ربانياً فريداً شعاره قول النبي (ص): "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

وهكذا استطاع الإسلام بالإخوة الإيمانية أن يوحد بين النفوس، وأن يؤلف بين القلوب، وأن يجعل المجتمع الإسلامي على قلب رجل واحد بصرف النظر عن الجنس أو اللون أو اللغة، وهذا ما أذهل العالم حين فوجئ بهذه الأمة الواحدة والتي جمعت من أخلط الناس.

2- المساواة:

أقام الإسلام العلاقة بين جميع أفرادها على المساواة التي لا تفرق بين غني، أو فقير، أو شريف أو وضيع، والناس في نظر الإسلام سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الناس جميعاً يرجعون إلى أصل واحد، وهو آدم (ع) قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (النساء/ 1).

وأكد هذا المعنى رسول الله (ص) في خطبة الوداع حيث قال: "أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتفاكم ليس لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى". كما أن الإسلام يسوي بين جميع الناس في الحقوق العامة فلا يميز شخصاً على آخر ولا طبقة على أخرى.

والحديث هنا يوقفنا على نظرة الإسلام إلى الخدم الضعاف، لقد ساواهم الإسلام بمن يعيشون معهم من غير تفرقة ولا ظلم ولا إذلال، بل هم إخوة بكل ما تحمله الكلمة من معاني المودة والشفقة والرحمة والبر.

وبين أيدينا شهادة في هذا المضمار لأحد المستشرقين الذين تحرروا من العقد والكرهية للإسلام يقول فيها: "الإسلام هو أعظم دين في العالم؛ لأنه يوحد الخلق ويجعلهم أمة واحدة لا فضل لعربيها على عجميها إلا بالتقوى، وطالما يعتنق الإنسان هذا الدين فإن كل الفروق تسقط بينه وبين أي مسلم آخر، فيصبح - مهما كان أصله - في درجة واحدة معه، وإن الناس في نظر الإسلام سواسية، فإنك ترى المسلمين في المساجد يصلون. الفقير إلى جانب الغني، والحقير إلى جانب العظيم، لا فرق بين مملوك أو أمير وكلهم أمام الله إخوة في الإسلام الذي لا يعرف فرقا بين قومية وأخرى، ولا يفضل لونا على لون".

3- الحب في الله:

والحب في الله له مكان فسيح في المجتمع الإسلامي. والمتحابون في الله يتبوءون منازل الكرامة، ويبلغون درجات الصديقين.

وقد تظاهرت الأحاديث النبوية الشريفة في تباين منزلة الحب في الله:

قال رسول الله (ص): "إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي".

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: "رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه".

كما جعل النبي (ص) الحب في الله حلقة ضمن سلسلة تؤدي بصاحبها إلى الجنة فقال: "لا تدخلون الجنة

*مدرس بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

المصدر: كتاب منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع